"الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي في صحيح البخاري"
(عشرة أحاديث مختارة)

دكتور/**كمال كامل محمود صالح**

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ولي كل نعمة الهادي المعين، والذي قال في كتابه العزيز عن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى } [النجم: ٣]والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صاحب الأسلوب الحكيم، والذي وصف نفسه أحسن الوصف فقال «أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَفَوَاتِحَهُ وَخَوَاتِمَهُ[1]»وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين

وبعد،،

فهذه مقدمة بحثي المتواضع عن "الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي في صحيح البخاري"

فأسلوب الحكيم إلى جانب كونه أسلوبا بلاغيا بديعا فهو من الأساليب التعليمية التي تستخدم في موطن إجابة السائل عما يكون هو الأولى والمهم له، وإن كان هذا غير ما يترقب من سؤاله، كما أنه أحيانا "يستعمل للتطرف، أو التخلص من إحراج السائل"[2].

وكان دافعي لاختيار هذا الموضوع يرجع إلى:

أولا: يعد أسلوب الحكيم فنًّا بلاغياً له أثره الجميل في مخاطبة الناس، وصرفهم إلى ما يهمهم للسؤال عنه إلا أنه لم يحظ هذا الفن بعناية كبيرة من لدن البلاغيين على الرغم من أهميته كأسلوب حوار، فقد يخاطبك إنسان أو يسألك عن أمر من الأمور .فتجد من نفسك ميلا إلى الإعراض عن الخوض

---

[1] - مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣١٨)

٢ - المعجم المفصل في علوم البلاغة د/إنعام فوّال عكاوي صـ١٤٣

في موضوع الحديث أو الإجابة عن السؤال لأسباب كثيرة..منها أن "يـــنزل سؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاله لتوخي التنبيه له بألطف وجـــه علـــى تعديه عن موضع سؤال هو أليق بحاله أن يسأل عنه أو أهم له إذا تأمل، وأن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما ســـلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور[1]

ثانيا: كان في إختيار أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الأحاديث النبوية هي الركن الثاني بعد كتاب الله سبحانه وتعالى، فهـــي في الطـــرف الأعلى في البلاغة بين البشر، واستخدامه لأساليب البلاغة حتما يكـــون في الوضع الملائم لها، فأردت الوقوف على جانب وصورة من صور فصـــاحة وبلاغة الرسول.

أما عن خطة البحث ففد قمت بتقسيم البحث إلى :

المقدمة وقد ذكرت فيها سبب اختيار الموضوع.

ثم ذكرت مبحثين لموضوع البحث وهما:

المبحث الأول:أسلوب الحكيم دراسة بلاغية، وفيه تعرضت لأقوال العلماء في "الأسلوب الحكيم"، ثم خلط بعض العلماء بين "الأسلوب الحكيم" و "بين القول بالموجب".

المبحث الثاني:ذكرت فيه طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في الأسلوب الحكيم، وكان عملي فيها هو توضيح شاهد الأسلوب الحكـــيم، والتعرض لدلالات التراكيب الواردة في الأحاديث المذكورة في الأحاديث.

---

١ ـ مفتاح العلوم (ص: ٣٢٧)

ثم الخاتمة، وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

ثم فهرس بأهم المصادر والمراجع.

وقد حاولت قدر جهدي الالتزام بالمنهج الفني في هذا البحث.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، وأن يدفع عني العجلة، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

الباحث

دكتور/كمال كامل محمود صالح

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد

المبحث الأول:أسلوب الحكيم دراسة بلاغية.

تعرض الجاحظ لأسلوب الحكيم وأفرد له بابا في كتابه البيان والتبيين وأسماه "من اللغز في الجواب"

وذكر له العديد من الأمثلة، ومما ذكره قوله:"قالوا: كان الحطيئة يرعى غنما له، وفي يده عصا. فمر به رجل فقال: يا راعي الغنم ما عندك؟ قال: عجراء من سلم[1] يعني عصاه. قال: إني ضيف.

فقال الحطيئة: للضّيفان أعددتها.[2]

ويذكر الدكتور فوزي عبد ريه أن "هذا النوع عند "الجاحظ" أعم مما عرف بـــ"الأسلوب الحكيم"، فالمقصود به –عنده– هو تلقي المخاطب أو السائل بغير قصده، سواء لقصد التنبيه إلى ما هو أولى، أم كان لقصد الإلغاز في الرد على المخاطب أو السائل.[3]

"وليس المقصود بالإلغاز –في هذا الباب– هو التعمية والإبهام، ولكن المقصود هو الجنوح بكلام المخاطب أو السائل عن غير قصد، وصرف كلامه إلى معنى آخر لغرض من الأغراض التي يحددها المقام والسياق، كاحتقار السائل وعدم الاهتمام به في قول الحطيئة، أو الإعراض عن المخاطب وتسفيهه[4] كما في قول أزهر حيث يقول: "وأتى أزهر بن عبد

---

١ ـ العجراء: التي فيها عقد. والسلم: شجر من العضاه.ينظر لسان العرب لابن منظور مادة"عجر" ومادة "سلم"

٢ ـ البيان والتبيين (٢/ ١٠٠)

٣ ـ المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين تأليف د/فوزي السيد عبد ربه عيد صـ٢٤٢

٤ ـ المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين تأليف د/فوزي السيد عبد ربه عيد صـ٢٤٣

الحارث رجل من بني يربوع، فقال: ألا أدخل؟ قال: وراءك أوسع لك. قال: قد أحرقت الشمس رجلي. قال: بل عليهما تبردا. فقال: يا آل يربوع! قال: ذليلا دعوت. يا بني دريص، أطعمتكم عاما أو جلّة، فأكلتم جلتكم، وأغرتم على جلة الضيفان.[1]

ولكنا نرى الجاحظ يذكر أيضا الكثير من الأمثلة التي عدها علماء البلاغة من باب "أسلوب الحكيم"

ثم نجد الإمام عبد القاهر الجرجاني يسمي هذا اللون "مغالطة" وإن كان لم يفرد لها بابا، أو يضع لها عنوانا مستقلا، ولكنه ذكره في معرض حديثه عن نكتة تقديم "مثل وغير" مسندا إليهما حيث يقول:وكقول الذي قال له الحجاج: (لأحملنك على الأدهم). يريد (القيد)، فقال على سبيل المغالطة: (ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب)، وما أشبه ذلك، مما لا يقصد فيه بـ "مثل" إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه، ولكنهم يعنون أن كل من كان مثله في الحال والصفة، كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة؛ أن يفعل ما ذكر، أو أن لا يفعل.[2]

فالإمام عبد القاهر عرض لهذا النوع من المغالطة، إلا أنها مغالطة طريفة، وذكية،ولعل عدم قبول العلماء لمصطلح "المغالطة" إنما هو راجع لمعناه في اللغة فهو غير مقبول من جهة الإجمال، يقول الكفوي: وأما المغالطة: فهو قياس مركب من مقدمات شبيهة بالحق، ويسمى سفسطة أو شبيهة بالمقدمات المشهورة ويسمى مشاغبة[3]

---

١ - البيان والتبيين (٢/ ١٠١)
٢ - دلائل الإعجاز ت الأيوبي (ص: ١٥٨)
٣ - الكليات (ص: ٨٤٩)

أما الإمام السكاكي فنراه يقول :" ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة على ما تنبه على ذلك منذ اعتنينا بشأن هذه الصناعة، وترشد إليه تارة بالتصريح، وتارات بالفحوى، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتشرب من أفانين سحرها، ولا كأسلوب الحكيم فيها، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب كما قال[1]

أتت تشتكي عندي مزاولة القرى ... وقد رأت الضيفان ينحون منزلي

فقلت كأني ما سمعت كلامها ... هم الضيف جدي في قراهم وعجلي

أو السائل بغير ما يتطلب كما قال تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } [البقرة: ١٨٩] قالوا في السؤال ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط، ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟ فأجيبوا بما ترى، وكما قال { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢١٥] سألوا عن بيان ما ينفقون، فأجيبوا ببيان المصرف، ينزل سؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاله، لتوخي التنبيه له بألطف وجه على تعديه عن موضع سؤال هو أليق بحاله أن يسأل عنه أو أهم له إذا تأمل [2]

---

١ ـ لا يعلم قائلهما، والقرى: طعام الضيف، وقوله: "ينحون" بمعنى يقصدون. والشاهد في أنه أجابها بغير ما تتطلب من الشكوى؛ ولهذا قيل: إن هذا من القسم الثاني لا الأول؛ لأنه ليس فيه حمل كلام على خلاف ظاهره، وإنما هو من تلقي السائل بغير ما يتطلب؛ للتنبيه على أن الأولى بها الاستعداد لهم لا الشكوى منهم. ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (١/ ١٤٦)

٢ ـ مفتاح العلوم (ص: ٣٢٧)

ثم يتحدث السكاكي عن أثر هذا اللون من ألوان البلاغة في المتلقي حيث يقول:"وأن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام، فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور[1]

بين أسلوب الحكيم والقول بالموجب

إن من يتتبع كتب البلاغيين يجد أن كثيرا من العلماء لا يجدون فرقا بين الأسلوب الحكيم والقول بالموجب، ولكن هناك من وضع فروقا دقيقة بينهما، فنجد ابن حجة الحموي[2] لا فرق عنده بين القول بالموجب وبين أسلوب الحكيم فنراه يقول: القول بالموجب، ويقال له أسلوب الحكيم، وللناس فيه عبارات مختلفة[3]

فإن قوله "ويقال له" يدل على أنه لا يجد أن هناك فرقا بين "القول بالموجب" وبين "أسلوب الحكيم".

وممن خلط بين أسلوب الحكيم والقول بالموجب "الألوسي[4]"، وقال عنه ويسمى القول بالموجب في قوله:وعلى الثاني يكون من الأسلوب الحكيم ، ويسمى القول

---

١ ـ مفتاح العلوم (ص: ٣٢٧)

٢ ـ ابن حجة الحموي هو: أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تقي الدين ابن حجة: إمام أهل الأدب في عصره. وكان شاعرا جيد الإنشاء. (٧٦٧ ـ ٨٣٧ هـ = ١٣٦٦ ـ ١٤٣٣ م) الأعلام للزركلي (٢/ ٦٧)

٣ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (١/ ٢٥٨)

٤ ـمحمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: (١٢١٧ ـ ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ ـ ١٨٥٤ م) مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر (سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، فالآستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر الى أن توفي. من كتبه (روح المعاني ـ ط) في التفسير، تسع مجلدات كبيرة، و (نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول ـ ط) رحلته إلى الآستانة، و (نشوة المدام في العود إلى دار السلام ـ خ) و (غرائب الاغتراب

بالموجب، وهو: تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله. واختاره السكاكي وجماعة) (١).

ويذكر صاحب أنوار الربيع في أنواع البديع :"إنهما فرسا رهان، ولكن بينهما فرقا حيث يقول: "هذا نوع من البديع غريب المعنى؛ لطيف المبنى؛ راجح الوزن في معيار البلاغة، مفرغ الحسن في قالب الصياغة، وهو و"الأسلوب الحكيم" رضيعا لبان، فرسا رهان؛ حتى زعم بعضهم أن أحدهما عين الأخر، وليس كذلك، بل بينهما فرق(٢)

ويذكر هذا الفرق في موضع آخر حيث يقول:

وهذا النوع أعني "القول بالموجب" يشترك هو و"الأسلوب الحكيم" في كون كل منهما من إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، ويفترقان باعتبار الغاية، فإن "القول بالموجب" غايته رد كلام المتكلم وعكس معناه، و"الأسلوب الحكيم" هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له.(٣)

ـ ط) ضمنه تراجم الذين لقيهم، وأبحاثا ومناظرات، و (دقائق التفسير ـ خ) و (الخريدة الغيبية ـ ط) شرح به قصيدة لعبد الباقي الموصلي، و (كشف الطرة عن الغرة ـ ط) شرح به درة الغواص للحريري، و (مقامات ـ ط) في التصوف والأخلاق، عارض بها مقامات الزمخشريّ، و (الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية ـ ط) و (حاشية على شرح القطر ـ ط) في النحو، و (الرسالة اللاهورية ـ ط) . الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٦)

(١)تفسير:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،الألوسي(ت١٣٤٢هـ)، ج٢/ ٧١،دار إحياء التراث العربي-بيروت،بدون تاريخ. وينظر: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان،الألوسي (ت١٣٤٢هـ)،تح:زهير الشاويش،ص٢٨،المكتب الإسلامي – لبنان،ط٢، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٢ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: ١٢٤)

٣ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: ١٢٦)

وإذا أنت تأملت مواقع هذا النوع أعني "الأسلوب الحكيم" ظهر لك كمال الفرق بينه وبين "القول بالموجب" أتم ظهور، وجزمت بخطأ من جعلهما واحدا كابن حجة، فاعلم ذلك والله أعلم.[1]

وقد حاول بعض المحدثين التفرقة بين الرأيين بما هو أقرب للقبول في قوله:وما زعمه كثير من أهل البلاغة من أن هذا الضرب من ضَرْبَيِ "القول بالموجب" هو "الأسلوب الحكيم"، وأنه جاء في القرآن في قوله:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) الآية [سورة البقرة: ١٨٩] . وقوله: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ) الآية [سورة البقرة: ٢١٥] .

فهو غير صحيح؛ لأنه ليس في الآيتين الحكم بوقوع نسبة خبرية إيجابًا أو سلبا حتى يقال بموجبها أو لا يقال به.

وقد أجمع عامة النظار على أن التصديق لا يوجد بالفعل إلا عند وجود التصور الرابع، الذي هو تصور وقوع النسبة بالفعل، أو عدم وقوعها، سواء قلنا بأنه مركب أو بسيط،، فالشاك في وقوع النسبة يتصور ثلاثة تصورات، وهي تصور الموضوع الذي هو المحكوم عليه، وتصور المحمول الذي هو المحكوم به، وتصور النسبة الحكمية التي هي مورد الإيجاب والسلب من غير تصور وقوعها ولا عدم وقوعها، وهو أي الشاك ليس بحاكم بشيء على التحقيق حتى يقال بموجبه، أو لا يقال به.

فمن سأل عن الأهلة، وعن ماذا ينفق لم يحكم بشيء، حتى يقال بموجبه، ويحمل على غير مراده؛ لأن الاستفهام إنشاء، وليس فيه نسبة خبرية يتوارد

---

١ - أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: ١٢٧)

عليها السلب والإيجاب، حتى يصدق عليها أن لها موجبًا يقال به. ولـــذا لا يجـــوز خطاب السائل عن الأهلة مثلاً: بكذبت، ولا صـــدقت؛ لأنه لم يخبر بشيء.

فبهذا يتضح لك أن ما سماه السكاكي "الأسلوب الحكيم" وسماه عبد القاهر "المغالطة"، منه ما هو قول بالموجب كقصة الحجاج والقبعثري، ومنه مـــا لا يدخل في حد القول بالموجب كالآيتين المذكورتين كما بينا[1]

ويذكر الدكتور محمد أبو موسى سببا لإلحاق الأسلوب الحكيم في علم المعاني حيث يقول: وألحقوا به أسلوب الحكيم؛ لأنه ضرب من المخالفة.

وقد تابعناهم في ذلك لبنائه على ملاحظات دقيقة في ربط مباحث العلـــم، وتلاحقها في نظام يجمعها، ثم إننا نكره الاختلال في تنظيم مسائل العلم مـــا دام لها وجه، وليس هذا قيدا على الاجتهاد؛ لأن الاجتهاد النـــافع هـــو في مسائل العلم؛ لأنها جوهر.[2]

---

١ ـ منع جواز المجاز (ص: ٢١)

٢ ـ خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ٢٤١)

المبحث الثاني طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في الأسلوب الحكيم

الحديث الأول

عن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطا وسعد جالس، فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال: «أو مسلما» فسكت قليلا، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال: «أو مسلما». ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «يا سعد إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار» ورواه يونس، وصالح، ومعمر، وابن أخي الزهري، عن الزهري[1]

شاهد الأسلوب الحكيم :قول النبي(ﷺ):«أو مُسْلِمًا ،إني لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إلي منه خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ في النَّارِ على وَجْهِهِ».

فيجيب النبي(ﷺ) سعدًا بغير ما يطلب،ويوجهه إلى استحسان وصف الرجل بالإسلام بدلًا من الإيمان، للتنبيه على أن ذلك أولى، وأقرب إلى الظاهر.

فالملاحظ أنه كعادة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في شرح الأمور التي لها صلة بالمفاهيم والمصطلحات العقدية، فإنه هنا يفرق بين أمرين

---

١ - صحيح البخاري (١/ ١٤)

وهما: الإسلام، والإيمان، وأننا لا يجب أن نلصق صفة الإيمان بأحد إلا بعد النظر في مطابقة حاله للنصوص التي ترد في ذلك، كما أنها تبين لطف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفته حاكما يوزع المغانم، وأنه يسمح له بمراجعته، وأن يشيروا عليه فيما يظنون في ظنهم أنه خفي عليه، ولكنه على الرغم من ذلك، لا يستعلي عليهم، وإنما يجيبه بلطف، وبما يكون هو مهما له ولسؤاله.

وقوله ﴿ﷺ﴾:«إِنِي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلي منه، خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ في النَّارِ على وَجْهِهِ» ، وقعت تفسيرًا وبيانًا لفعله﴿ﷺ﴾، وأنه فعل ذلك ؛ لكي يتألف قلوب الذين دخلوا في الإسلام حديثًا. واستدعى المقام لهذا الإطناب ؛لتوضيح ما أُبهم وأُشكل على سعد﷿.

وجاءت (أل) [1] في قوله ﴿ﷺ﴾:(الرجل) لمحض الجنس، ومعناه:أي رجل؛ لتدل بهذا المعنى على شمول العطاء وعمومه جنس الرجال،وللدلالة مع هذا الإبهام والتعميم عدم التمييز بين أفراد هذا الجنس في العطاء.

وحذف المفعول الثاني لـ(أُعطي) لإجمال العطاء ؛لأن ذكره غير مقصود وكأنه بُني علي طوي ذكره ،وقال بعض الشراح للتعميم [2]، ومعناه: إني لأعطي الرجل عطاءً.

---

(١)(أل):حرف تعريف، وهي ثلاثة أقسام: عهدية، وجنسية، ولتعريف الحقيقة.
فالعهدية: هي التي عهد مصحوبها، بتقدم ذكره. نحو: جاءني رجل فأكرهت الرجل، أو بحضوره حساً، كقولك لمن سدد سهماً: القرطاس، أو علماً، كقوله تعالى " إذ هما في الغار " .
والجنسية بخلافها. وهي قسمان: أحدهما حقيقي، وهي التي ترد لشمول أفراد الجنس. نحو " إن الإنسان لفي خسر " . والآخر مجازي، وهي التي ترد لشمول خصائص الجنس، على سبيل المبالغة. نحو: أنت الرجل علماً، أي: الكامل في هذه الصفة. ويقال لها: التي للكمال.
وأما التي لتعريف الحقيقة، ويقال لها: لتعريف الماهية، فنحو قوله تعالى " وجعلنا من الماء كل شيء حي " .الجنى الداني ١٩٤،ومابعدها.
(٢)فتح الباري ج١/ص٨١.

والضمير في كلمة (غيره) عام يشمل (جُعيل) وغيره ؛لأنه واقع في سياق النكرة ،أي غير هذا الرجل الذي أعطيه يكون عندي أحب من الذي أعطيه.

وكلمة (خَشيَةَ)وقعت مفعولًا لأجله؛ لتفسير وبيان وجهة النبي(ﷺ) في اختصاص العطاء لأناسٍ ،ومنعه عن آخرين ،وتبرير فعله(ﷺ) من أنْ يُظـــنّ أنّ التقسيم يُراعَى فيه درجات الإيمان والصلاح، ولكن التقسيم خرج لتألّف القلوب في الإسلام، مع تأكيد أّن الذين مُنعوا العطاءَ خيرٌ عند رسول الله من الذين نالوا العطاء.

و قوله (ﷺ):« أَنْ يُكَبَّ في النَّارِ على وَجْهِه» كنايةٌ عن ســـوء الخاتمة المستلزمة للكافر والمرتد؛ لأنّ الكبّ في النار لازم العقاب على كـــبيرة ، والعقاب بهذا الوصف لازم الكفر[1]، فالنبي (ﷺ) تألّفهم ؛ لأنه يخشى عليهم من الرجوع في الكفر والارتداد.

اختلف العلماء في دلالة "أو"- بسكون الواو- في قول النبي(ﷺ):«أوْ مُسْلِمًا »،فقيل : إنها للإضراب، وقيل : إنها للتشريك، وقيل : إنهـــا للتنويـــع والأولى أنها للإضراب فيصير المعنى: بل مسلمًا؛ لأن المـــراد هـــو : أن وصـــفه بالإسلام أولى من وصفه بالإيمان، وأن الحكم على صلاح الرجل بإسلامه لقيامه بالأعمال الظاهرة، أولى من الحكم عليه بالأعمال الباطنة، التي لا يعلمها إلا الله.

وقد جمع صاحب فتح الباري أراء العلماء في "أو" في قوله:("أو مسلما" هو بإسكان الواو لا بفتحها، فقيل هي للتنويع، وقال بعضهم هي للتشريك ،وأنه أمره أن يقولهما معا لأنه أحوط ،ويرد هذا رواية بن الأعرابي في معجمه في هـــذا الحديث فقال:" لا تقل مؤمن بل مسلم". فوضح أنها للإضراب .ولـــيس معنـــاه

(١)ينظر:عمدة القاري ج١/ص١٩٤.

الإنكار، بل المعنى أن إطلاق المسلم على من لم يختبر حاله الخبرة الباطنة أولي من إطلاق المؤمن؛ لأن الإسلام معلوم بحكم الظاهر). [1]

ودلالة استخدام "أو" هنا لإفادة معنى الإضراب بدلا من "بل" لأنها الأنسب للمقام قال ابن حجر: (وليس معناه [أي: الإضراب] الإنكار، بل المعنى أن إطلاق المسلم على من لم يختبر حاله الخبرة الباطنة أولي من إطلاق المؤمن؛ لأن الإسلام معلوم بحكم الظاهر). [2]

فإن استخدام "بل" هنا يدل على الإنكار، وصرف الإيمان عنه، ولكن هذا غير مراد في الحديث، خاصة وأنه ذكر في حديث آخر أن هذا الرجل المشفوع له وهو "جعيل" ممن أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى إسلامه فقد جاء في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء "أَمَا وَالَّذي نَفْسي بيَده لَجُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ خَيْرٌ منْ طلَاعِ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مثْلُ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ، وَلَكنِّي تَأَلَّفْتُهُمَا لِيُسْلِمَا، وَوَكَّلْتُ جُعَيْلًا إِلَى إِسْلَامه"[3]

فلو استخدم "بل" لكان معناه الإضراب بالإنكار عليه صفة الإيمان، أما استخدام "أو" فإنه لا يوحي بهذا الإنكار.

وتكررت جملة :«أوْ مُسْلِمًا » ثلاث مرات في ردّ الرسول(ﷺ) تنبيهًا لسعد ،وتوجيهًا له بوصف (جعيل)بالإسلام يكون أولى، ولتأكيد دلالة ثبوت الوصف بالإسلام .

أما دلالة استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم للفظ "مسلما" لأنه يريد أن يعلمنا أن نعامل الناس حسب الظاهر، فإننا حين نصف الرجل بحسن إسلامه، فإننا نتحدث عن عن أدائه لصور الإسلام المشاهدة من الشهادة، وإداء

---

(١)فتح الباري ج١/ص٨٠.
(٢)فتح الباري ج١/ص٨٠.
٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٥٣)

الصلوات، والصوم، وغير ذلك، لكن الإيمان يكون بالأعمال الباطنة، وهـــذا لا يمكن لأحد مشاهدته حتى يحكم عليه، فهو متروك لله وحده.

وسياق التركيب يبرز حرص النبي ﴿ﷺ﴾ على إنقاذ البشرية من ســـوء الخاتمة والتي هي مسببة من غضب الله وعقابه على الخاسرين الجاحدين ، وتلـــك مظاهر رحمته بالكافر الجاحد والخاسر الحاسد.

الحديث الثاني

عن أبي هريرة، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث» . قال: ما الإسلام؟ قال: " الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان ". قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، قال: متى الساعة؟ قال: " ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: {إن الله عنده علم الساعة} [لقمان: ٣٤] الآية، ثم أدبر فقال: «ردوه» فلم

يروا شيئًا، فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم» قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان.[1]

الأسلوب الحكيم،في قوله﴿ﷺ﴾:« ما المسئول عنها بأعلم من السائل».

فالسائل بسأل عن زمن قيام الساعة بدليل استخدامه لأداة الاستفهام "متى" التي يسأل بها عن الزمان، ولكنه أجابه بطريق غير الذي ينتظره من ليبين له إن الناس كلهم في وقت الساعة سواء، وكلهم غير عالمين به على الحقيقة،

ويذكر ابن حجر بلاغة الأسلوب الحكيم هنا في معرض حديثه عن فائدة هذا السؤال والجواب حيث يقول:" مقصود هذا السؤال كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة لأنهم قد أكثروا السؤال عنها كما ورد في كثير من الآيات والأحاديث فلما حصل الجواب بما ذكر هنا حصل اليأس من معرفتها بخلاف الأسئلة الماضية فإن المراد بها استخراج الأجوبة ليتعلمها السامعون ويعملوا بها ونبه بهذه الأسئلة على تفصيل ما يمكن معرفته مما لا يمكن قوله من السائل عدل عن قوله لست بأعلم بها منك إلى لفظ يشعر بالتعميم تعريضا للسامعين أي أن كل مسؤول وكل سائل فهو كذلك فائدة هذا السؤال والجواب[2]

---

١ - صحيح البخاري (١/ ١٩)

٢ - فتح الباري لابن حجر (١/ ١٢١)

"فإن قلت: فلم سأل جبريل عن الساعة مع علمه بأنه لا يعلمها إلا هو؟ فالجواب: أما عن الأول فلتنبيههم بذلك على أنه ليس له الجواب عما لا علم له به، ولا الاستنكاف من قول لا أدري الذي هو نصف العلم كما نبههم مما له الجواب عنه مما قد سلف بحسن السؤال الذي هو نصف العلم فتم العلم بذلك.[1]

واستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأسلوب الحكيم، أسلوب التشبيه في قوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والرسول الكريم استخدم هنا أداة التشبيه"كأن"لأنها أمكن في الدلالة على المعنى المراد، لأن المؤمن يرى الله سبحانه وتعالى في كل وقت، ولكن هذه الرؤية ليست حقيقية، وفي ذات الوقت هي أقوى من أن يستعمل لها "الكاف" التي تدل على المقاربة فقط بين المشبه، والمشبه به، فهو يعلم أن الله مطلع عليه في كل أموره، ونظرا لتيقنه الشديد بهذه الحقيقة، فهو يشعر بوجوده المستمر معه.

وابن حجر يذكر دلالة التشبيه في الحديث في معرض الشرح له حيث يقول:" معناه أنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك فأحسن عبادته وإن لم تره فتقدير الحديث فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك"[2]

---

١ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٦٢)

٢ ـ فتح الباري لابن حجر (١/ ١٢٠)

الحديث الثالث

عن أبي هريرة قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «أين – أراه – السائل عن الساعة» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» ، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[1]

شاهد الأسلوب الحكيم: فإن السائل يستخدم"متى" الدالة على السؤال عن زمن وقوع الفعل، والاستفسار عن وقت قيام الساعة فعدل النبي﴿ﷺ﴾ عن إجابته عمّا يطلب إلى ما هو أهم منه على طريق الأسلوب الحكيم إشعارًا بأن الانشغال بغيره أكثر أمنًا وأسلم طريقًا، وأبلغ حرصًا، وتنبيها لما هو أهم له وأولى، وتوجيهًا للطريق السديد.

أما دلالات التراكيب في الحديث:

فـ(الفاء)في قوله﴿ﷺ﴾:« فإذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ »عاطفة على جملة محذوفة تقديرها– والله أعلم: تَرقّب علامتها أو قيامها ، فإذا ضيعت...، والكلام يصلح بدون الفاء، لكن وجودها في صدر الإجابة دليل على أنّ هناك شيءٌ أُضمر

---

١ - صحيح البخاري (١/ ٢١)

واختار البيان أداة القيد(إذا) بدلًا من (إنْ)في قوله(ﷺ) :« فإذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ » ذلك ؛لأن النحاة قالوا: (إذا) تدخل على المتيقن وجوده أو المترجح، أما (إنْ) فتدخل على المشكوك فيه. وانتقاء التعبير لتلك الأداة يفيد بأن الإخبار بتضييع الأمانة باعتبار كونها من علامات قيام الساعة أمرٌ ثابت ومتيقن ، فهو من دلائل نبوته(ﷺ).

ومجيء الفعل(ضُيِّعَتِ)مبني للمفعول، والأمانة نائب فاعل؛ لأن المقصود الإخبار عن ضياع الأمانة لا الإخبار عن مُضيعها، ولعل بناء الفعل هكذا للمجهول يشعر بخفاء الفاعل لا غيابه، مع إرادة صون اللسان عنه فهو لا يستحق الذكر، وكما يدل دلالة واضحة أيضًا على أن إضاعتها عملٌ مخالفٌ يتسبب به إنهيار المنهج في ذات الإنسان وفساد البشرية.

و(ال) في كلمة(الأمانة) للجنس، فهي تشمل جميع أنواع الأمانات فلم تحدد بنوعٍ أومثل، فأحدثت بهذا العموم غموضًا؛ لذا احتاج السامع لمزيد من الإيضاح والإفهام ، فجعل يسأل: كيف إضاعتها؟

و(الفاء)في قوله(ﷺ) :«فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ» وقعت في جواب الشرط وجوبًا، و لعل قائلًا يقول :لا يوجد تناسق بين زمن فعل الشرط الذي جاء بصيغة الماضي مبنيًا للمفعول ، وبين زمن جواب الشرط الذي جاء بصيغة الأمر،فكيف يؤمر السائل بانتظار حدث قد وقع؟! والأمر على خلاف ذلك؛لأن فعل الشرط ورد بصيغة الماضي لفظًا ومعناه يخلص للاستقبال لتحقق وقوعه ؛ على نحو قوله تعالى{تَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } [النحل: ١] لأن(إذا) تحسُن عند المتيقن وجوده ،

ودلالة فعل الأمر:(انتظر) في قوله(ﷺ) :«فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»فإنه لا يمكن أن يكون معناه طلب الانتظار حقيقة، وإنما يستتبع الأمر بعمومه، ففيها :الحث على العمل والإصلاح لا التواكل و العجز والتسليم لمقتضى الانتظار، وإن كان في معنى الأمر رائحة التهديد والوعيد اللاحق هؤلاء المضيعين للأمانة.

لّما كان بيان النبي(ﷺ) عامًّا موجزًا،لا يُعلم منه كيفية إضاعة الأمانة انشغل السائل فهمّ بسؤال آخر فقال:(كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟).

وحسُن استعمال(كيف) في السؤال لمعرفة أحوال إضاعة الأمانة ؛ ذلك لأن كيف في هذا الشاهد اسم استفهام للسؤال عن الأحوال العامة.[1]

و(إذا)في إجابة النبي(ﷺ)السائل في قوله(ﷺ) :«إذا وُسِّدَ الْأَمْرُ إلى غَيْرِ أَهْلِه ، فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»[2]وقعت شرطية أيضًا، وهي اسم لما استقبل من الزمن، ولم تُقرن هنا بالفاء كما جاءت مقرونة في قوله:(فإذا ضُيعت...الخ) ، ولعلها هنا وقعت جوابًا وتفسيرًا وبيانًا ابتداءًا ؛ لتفصيل ما أجمل وبيان ما أبهم من إثارة الكلام بضياع الأمانة.

---

(١)ينظر:مغنى اللبيب،ص٢٧٢.

(٢)أجابه النبي بجواب عام بحيث يدخل فيه ضياع الأمانة وغيرها مما يترتب عليه من ضياع الحقوق ،يقول ابن بطال :(فأجابه(ﷺ)بجواب عام دخل فيه تضييع الأمانة ، وما كان فى معناها مما لا يجرى على طريق الحق ، كاتخاذ العلماء الجهال عند موت أهل العلم ، واتخاذ ولاة الجور وحكام الجور عند غلبة الباطل وأهله ، وقد ذكر ابن أبى شيبة من حديث المقبرى عن أبى هريرة قال : قال النبى(ﷺ):"سيأتى على الناس سنوات خدّاعات يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق الرويبضة . قيل : وما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه فى أمر العامة ". وقد رأينا أكثر هذه العلامات وما بقى منها فغير بعيد). شرح صحيح البخارى - لابن بطال ١٠/ ٢٠٧.

ومجيء الفعل (وُسّد) مبنيا للمفعول ، والأمر نائب فاعل؛ لأن المقصود الإخبار عن توسد الأمر لا الإخبار عن فاعله، مع إرادة صون اللسان عنه فهو لا يستحق الذكر، وأن إضمار ذكره يشعر بإبهام حقيقة وجودهم وعدم إدراك الناس لهم ، وأن أعمالهم خبيثة ضارعت في خفائها خفاء إبليس فصاروا كالشياطين سواءً بسواء.

و(ال) في كلمة (الأمر) للجنس ،والمقصود بـ(الأمر) في قوله ﴿ﷺ﴾:«إذا وُسِّدَ الْأَمْرُ إلى غَيْرِ أَهْله » يقول الشراح :(وَالْمُرَاد مِنْ "الْأَمْر" جِنْسُ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ كَالْخِلَافَةِ وَالْإِمَارَة وَالْقَضَاءِ وَالْإِفْتَاءِ وَغَيْر ذَلِكَ).[1]

وجاء في معنى قوله﴿ﷺ﴾:«إذا وُسِّدَ الْأَمْرُ إلى غَيْرِ أَهْلِه ، فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»:(أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عباده ، وفرض عليهم النصيحة لهم ، لقوله﴿ﷺ﴾:" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"، فينبغى لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر فى أمر الأمة ، فإذا قلدوا غير أهل الدين ، واستعملوا من يعينهم على الجور والظلم فقد ضيعوا الأمانة التى فرض الله عليهم . وقد جاء عن النبى﴿ﷺ﴾أنه قال:" لا تقوم الساعة حتى يؤتمن الخائن ويستخون الأمين" ، وهذا إنما يكون إذا غلب الجهل ، وضعف أهل الحق عن القيام به ونصرته).[2]

وتتمثل بلاغة التعبير بتخصيص وصف(أهل) بالإضافة في قوله ﴿ﷺ﴾:«إلى غَيْرِ أَهْلِه » في التنبيه على خطورة الأمر وبلوغه النهاية في ضياع الحقوق، والاعتداء على أصحاب الحقوق المتأهلين لتقليد المناصب،

(١)فتح الباري لابن حجر ١٨/ ٣٣٣.
(٢)شرح صحيح البخارى - لابن بطال (١/ ١٣٨)

والمقصود بأهل الأمر كما جاء في اللسان:(وأَهْلُ الأَمر: وُلاتُه)[1]، والإضافة تشعر بلزوم المضاف لما يضاف إليه فكيف يوسد الأمر إلى غير ملزومه وما اختص به؟

ويوهم تكرار قوله(ﷺ) :«فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»أنه أعاد الجزاء مرة أخرى بلفظه، فإن جملة الجواب محذوفة تقديرها والله أعلم:(إذا وُسِّد...فقد ضاعت الأمانة،فانتظر الساعة)، و(الفاء) الثانية عاطفة ؛ لتفريع ما يترتب عليه ضياع الأمانة من آثار. يقول الشراح:(الْفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ ، أَوْ جَوَاب شَرْطٍ مَحْذُوفٍ أَيْ :إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَانْتَظِرْ...).[2]

فالحديث في جملته بيانٌ صادحٌ بالنبوة، يخبر فيه النبي(ﷺ)بما سيقع من الأمور الغيبية، والتي يشفق على الأمة فيها من بعده(ﷺ)؛ لتمثل دليلا كاشفًا من دلائل نبوته سيقع بعد مماته(ﷺ)أمده الله تعالى به ؛ ليكون حجةً على صدق رسالته وصدق دعوته إلى الله تعالى، فلعل من يشاهد تلك العلامات –أعاذنا الله من فتن الدنيا– يقول هذه بعض العلامات التي أخبر بها الصادق المصدوق(ﷺ)،فيقوى إيمانه ويثبت يقينه في مواجهة تلك الفتن.

الحديث الرابع

عَنْ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهمَا عَنِ النَّبِيِ – صلى الله عليه وسلم –: أَنَّ رَجُلاً سأَلهُ مَا يَلْبَسُ الْمحْرِم؟ فَقَالَ: "لا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ ولا الْعِمَامَةَ ولا السَّرَاوِيلَ ولا البُرْنُسَ ولا ثَوْبَاً مَسَّهُ

(١)لسان العرب (أهل).
(٢)فتح الباري لابن حجر ١٨/ ٣٣٣.

الوَرْسُ أو الزَّعْفَرَانُ، فإِنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ، وَلْيَقْطَعْهُمَا حتى يكونَا تحت الكعبين".[1]

شاهد الأسلوب الحكيم نلمحه في الإجابة لأنه أجاب السائل عن الألبسة المحظورة على المحرم، لأنها محدودة معدودة: وهذا من الأسلوب الحكيم " قال: لا يلبس القميص ولا عمامة ولا السراويل ولا البرنس " وهو لباس مغربي معروف، فأما العمامة فلا يلبسها لأنها محيط، وأما بقية الأشياء المذكورة فإنها تحرم لأنها مخيط والله أعلم " ولا ثوباً مسه الوَرْس[2]

قوله "ما يلبس المحرم" قال المازري وغيره سئل عما يلبس، فأجاب بما لا يلبس، لأن المتروك منحصر والملبوس لا ينحصر، لأن الإباحة هي الأصل، فحصر ما يترك ليبين أن ما سواه مباح، وهذا من بديع كلامه وجزله وفصاحته.

قلت وفائدة أخرى، وهو مراعاة المفهوم، فإنه لو أجاب بما يلبس لتوهم المفهوم، وهو أن غير المحرم لا يلبسه، فانتقل إلى ما لا يلبسه، لأن مفهومه ومنطوقه مستعمل، فكان أفصح وأبلغ وأوجه، وقد أجيب بأن السؤال كان من حقه أن يكون عما لا يلبس، لأن الحكم العارض المحتاج إلى البيان هو الحرمة، وأما جواز ما يلبس فثابت في الأصل معلوم بالاستصحاب، فلذلك أتى بالجواب على وفقه تنبيها عليه[3]

---

١ ـ صحيح البخاري (١/ ٣٩)
٢ ـ منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (١/ ٢٣٣)
٣ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/ ٢٢٢)

"ولا ثوبا مسه الورس" فإن قلت: فلم عدل عن طريقة أخواته؟ قلت: لأن الطيب حرام على الرجل والمرأة، فأراد أن يعمم الحكم للمحرم والمحرمة بخلاف الثياب المذكورة، فإنها حرام على الرجال فقط .

قوله "فليقطعهما" قال الكرماني: فإن قلت: فإذا فقد النعل فهل يجب لبس الخف المقطوع لأن ظاهر الأمر الوجوب؟ قلت: لا، إذ هو شرع للتسهيل، فلا يناسب التثقيل ،قلت: هذا الذي ذكره ليس مذهب إمامه، فإن القطع واجب بظاهر الأمر عند جمهور العلماء، إلا أن أحمد جوزه بدون القطع، وزعم أصحابه: أن القطع إضاعة، وهو القول بالرأي بعينه، ومنازعة السنة به، وأوجب أبو حنيفة الفدية على من لم يقطعه[1]

الحديث الخامس

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِ قَالَ خَرَجَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى عَلَى النِّساء فقال:تَصَدَّقْنَ فَانِّى أُرِيتُكُنَّ أَكْثَر أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رسولَ اللَّهِ قالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتكْفُرْنَ العَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصاتِ عَقْلٍ وَدينٍ أَذْهَبَ لِلُبِ الرَّجْلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْداكُنَّ قُلْنَ وَمَا نُقْصانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِها أَلَيْسَ إِذا حاضَتْ لَمْ تصَلِّ وَلَمْ تَصُمَّ قُلْنَ بَلَى قالَ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دينها.[2]

---

١ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/ ٢٢٣)
٢ - صحيح البخاري (١/ ٦٨)

قَالَ الطِّيبِيّ: الْجَواب من الأسلوب الْحَكِيم لِأَن قَوْله: (مَا رَأَيْت) إِلَخ زِيَادَة، فَإِن قَوْله: (تكثرن اللَّعْن وتكفرن العشير) جَوَاب تَامّ، فَكَأَنَّهُ من بَاب الاستتباع[1]، إِذا الذَّم بِالنُّقْصَانِ استتبع للذم بِأَمْر آخر غَرِيب، وَهُوَ كَون الرجل الْكَامِل الحازم منقاداً للنِّسَاء الناقصات عقلاء دينا.

ومن العلماء من رأى أنه تعليلا، وليس استتباعا فقد قال ابن حجر: "وفيه نظر ويظهر لي أن ذلك من جملة أسباب كونهن أكثر أهل النار، لأنهن إذا كن سببا لإذهاب عقل الرجل الحازم حتى يفعل أو يقول ما لا ينبغي، فقد شاركنه في الإثم، وزدن عليه(٢)

(تصدقن فإني أريتكن) استخدم الرسول هنا التأكيد من باب تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، فالأمر بالتصدق هنا يومئ إلى الخبر، وأنه من جنس النفع والخير، فصار المقام مقام تردد، وسؤال عن السبب وراء هذا الأمر، فهن كأنهن يسألن سؤالا افتراضيا، فما الداعي لهذا الأمر بالتصدق؟ فأجاب فإني أريتكن أكثر أهل النار.

وقد تناول علماء البلاغة هذه الصورة البلاغية بقولهم إن "خالي الذهن لم ينزل منزلة مطلق سائل، بل نزل منزلة سائل عن السبب الخاص الذي يلوح إليه الكلام السابق، وذلك يكون غالبًا بعد الأوامر والنواهي التي تلوح بأسبابها فتستشرف النفس لمعرفتها استشراف الطالب المتردد، ولذلك

---

١ ـ الاستتباع هو : استفعال من تتبع الرجل، إذا اقتفى أثره. وفي الاصطلاح: هو أن يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر، فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢/ ٣٩٤)

٢ ـ فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٠٦)

يحصل تأكيد الخبر وفاء بحق هذه الحال الاعتبارية. وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض.

فقول الرسول صلى الله عليه وسلم "أريتكن" واستخدام "الرؤيـــة" بهذه الصيغة بدلا من "رأيتكن" مثلا، لأنها في الأولى تدل على أن هناك فاعلا أراه هذه الصورة لمعشر النساء بخلاف ما لو قال "رأيتكن" لأنها تدل على أنه فاعل الرؤية بنفسه، أو تكون الرؤية بمعنى الحلم[1]

وهي أيضا أقوى في الدلالة على التعبير عن المراد من "علمت" مثلا، لأن العلم قد يكون لغير موجود بخلاف الرؤية يقول أبو هلال العسكري موضحا الفرق بين العلم والرؤية:" أن الرؤية لا تكون إلا الموجود، والعلم يتناول الموجود والمعدوم، وكل رؤية لم يعرض معها آفة، فالمرئي بها معلوم ضرورة وكل رؤية فهي لمحدود أو قائم في محدود، كما أن كل إحساس من طريق اللمس، فإنه يقتضي أن يكون لمحدود أو قائم في محدود [2]

وقال ابن سيده[3]: الرؤية النظر بالعين والقلب.[4]

قوله "أُرِيتكن" بضم الهمزة وكسر الراء على البناء للمفعول، والمراد أن الله تعالى أراهن له ليلة الإسراء، وأحسب أن استخدام الرؤية بطريق الفعل المبني للمفعول، إنما هو من باب عدم نسبة الرؤية فيما يكره الإنسان إلى الله تعالى.

"وبم"ا لواو استئنافية، والباء تعليلية، والميم أصلها "ما" الاستفهامية.[1]

---

١ ـ لسان العرب لابن منظور مادة "رأى" جـ١٤ صـ٢٩٣

٢ ـ الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٩٤)

٣ ـ علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريرا (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٣)

٤ ـ لسان العرب (١٤/ ٢٩١)

قوله "من ناقصات" صفة موصوف محذوف.

قوله: "أذهب" أي أشد إذهابا، فقد جاء على صيغة "أفعل" للمبالغة في الدلالة على شدة إذهابهن لعقول الرجال.

"اللب يفيد أنه من خالص صفات الموصوف به، والعقل يفيد أنه يحصر معلومات الموصوف به، فهو مفارق له من هذا الوجه، ولباب الشيء ولبه خالصه[٢]

وقال الكفوي: "اللب: الْعقل الْخَالِص من الشوائب وَقيل: هُوَ مَا ذكا من الْعقل فَكل لب عقل وَلَا عكس[٣]

فاللب أخص من العقل، والعقل عام لأنه يجمع من ذكا عقله، ومن غفل، "وهذه مبالغة في وصفهن بذلك، لأن الضابط لأمره إذا كان ينقاد لهن، فغير الضابط أولى، واستعمال أفعل التفضيل من الإذهاب جائز عند سيبويه حيث جوزه من الثلاثي والمزيد[٤]

قوله: "قلن وما نقصان ديننا" كأنه خفي عليهن ذلك حتى سألن عنه، ونفس السؤال دال على النقصان، لأنهن سلمن ما نسب إليهن من الأمور الثلاثة الإكثار والكفران والإذهاب ثم استشكلن كونهن ناقصات، وما ألطف ما أجابهن به صلى الله عليه وسلم من غير تعنيف ولا لوم بل خاطبهن على قدر عقولهن.

وأشار بقوله مثل نصف شهادة الرجل إلى قوله تعالى {فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} [البقرة: ٢٨٢]، لأن الاستظهار بأخرى مؤذن بقلة

---

١ - فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٠٦)
٢ - الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٨٤)
٣ - الكليات (ص: ٧٩٨)
٤ - فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٠٦)

ضبطها وهو مشعر بنقص عقلها[1] وحكى ابن التين[2] عن بعضهم أنه حمل العقل هنا على الدية، وفيه بعد، قلت: بل سياق الكلام يأباه، لأن السياق هنا لا يتحدث عن أحد الحدود مما يوجب الدية، ولكنها وردت في سياق الحديث عن نقصان العقل.

قوله "فذلك" بكسر الكاف خطابا للواحدة التي تولت الخطاب، ويجوز فتحها على أنه للخطاب العام.

قوله: "وتكفرن العشير"يقول الكفوي "وَالْكفْر: تَغْطِيَة نعم الله بالجحود[3]، وعلى هذا يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم"تكفرن" أي تجحدن حق الخليط وهو الزوج، أو أعم من ذلك، ممن يتولى الإنفاق عليهن.

وفيه إطلاق الكفر على الذنوب التي لا تخرج عن الملة تغليظا على فاعلها لقوله في بعض طرقه بكفرهن كما تقدم في الإيمان، وهو كإطلاق نفي الإيمان، وفيه الإغلاظ في النصح بما يكون سببا لإزالة الصفة التي تعاب، وأن لا يواجه بذلك الشخص المعين، لأن في التعميم تسهيلا على السامع، وفيه أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها قد تكفر الذنوب التي بين المخلوقين، وأن العقل يقبل الزيادة والنقصان وكذلك الإيمان ...، وليس المقصود بذكر

---

١ -ولا يَعني شهادةُ المرأتَيْن بشهادةِ رجلٍ اتِّهامَ المرأةِ في عَقْلِها وشخصيتِها، كما فهمَ الفادي خطأً، فللمرأةِ عَقْلُها وتفكيرُها وحفْظُها، وقد
تفوقُ الرجلَ في ذلك!. إنَّ المسألةَ ماليةٌ، تتعلَّقُ بتفاصيلِ الدَّيْنِ وملابساتِه وكتابتِه وإجراءاتِه، وهذه أمورٌ لا تَعني النساءَ غالِباً، ولا تَلفتُ انتباهَهُنّ، ولو اكْتُفِيَ بشهادةِ امرأةٍ القرآن ونقض مطاعن الرهبان (١/ ٣٨٦)

٢ - ابن التين: هو عبد الواحد بن التين السفاقسي، له شرح على البخاري. ينظر: إرشاد الساري: ١/ ٤٢.

٣ - الكليات (ص: ٧٦٣)

النقص في النساء لومهن على ذلك، لأنه من أصل الخلقة، لكن التنبيه على ذلك تحذيرا من الافتتان بهن[1]

ولهذا رتب العذاب على ما ذكر من الكفران وغيره، لا على النقص، وليس نقص الدين منحصرا فيما يحصل به الإثم، بل في أعم من ذلك قاله النووي[2]

ويلاحظ استخدامه للتغليب[3] في قوله:يامعشر النساء" أي جماعتهن، والخطاب عام غلبت الحاضرات على الغيب.

(فقلن: ولم يا رسول الله؟) يلاحظ هنا حرص الصحابيات على تلقي العلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهن لا يقلون في حرصهن هذا عن الصحابة، لذلك كن يراجعنه ويسألنه، وكذلك صبر المعلم الأول، وإجابته لهن، وسعة صدره معهن، في إشارة لما ينبغي أن يكون عليه المعلم.

والباء للسببية متعلقة بمقدر بعدها، والواو إما للعطف على مقدر قبله، والتقدير: فقلن كيف يكون ذلك، وبأي شيء نكون أكثر أهل النار؟ أو زائدة ليدل على أنه متصل بما قبله، لا سؤال مستقل بنفسه منقطع عما قبله.[4]

كما نلاحظ الإيجاز في قوله (ما رأيت من ناقصات عقل ودين) " من " مزيدة للاستغراق، صفة لمفعوله المحذوف أي: ما رأيت أحدا من ناقصات

وقيل: يحتمل أن يكون بيانا لإحداكن على المبالغة أو بالعكس[5]

---

١ ـ فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٠٦)

٢ ـ فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٠٧)

٣ ـ التغليب هو: إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بجعله موافقا له في الهيئة أو المادة؛ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (١/ ١٧٣)

٤ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٩٣)

٥ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٩٣)

واستخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم صيغة أفعل في قوله "أذهب" لأن صيغة أفعل تستعمل في المبالغة، فهي أقوى في الدلالة على شدة الإذهاب

واستخدام اللب بدلا من العقل ، لأن اللب هو العقل

قال ابن رجب :هو العقل السليم الخالص من الشوائب.[1]

واستخدام "اللب" هنا أقوى وأمكن في الدلالة على التعبير عن المراد من استخدام لفظ "العقل" مثلا،لأن" قولنا "اللب" يفيد أنه من خالص صفات الموصوف به، والعقل يفيد أنه يحصر معلومات الموصوف به، فهو مفارق له من هذا الوجه، ولباب الشيء ولبه خالصه[2] فإذا كان تأثيرهن على صاحب اللب بهذه الطريقة، فإن تأثيرهن على صاحب العقل أولى.

(من إحداكن) متعلق بأذهب، "وإنما لم يقل: منكن؛ لأن الواحدة إذا كانت على هذه الصفة الذميمة،فكونهن عليها أولى من غير عكس.[3]

(قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟) ويلاحظ هنا أنهن خالفن الترتيب الوارد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه في كلامه الكريم ذكر أولا العقل ثم الدين ، ولكنهن في سؤالهن سألن أولا عن الدين ثم عن العقل، وقد أجاب عن هذا الملح الطريف صاحب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح في قوله: "ولعلهن خالفن الترتيب السابق الموافق للاحق؛ إشارة إلى الاهتمام بأمر الدين ليتداركن إن كان مما يمكنه التدارك، أو إيماء إلى نقصان عقلهن حيث ما راعين كلام النبوة، وما فهمن وجه الترتيب من أن نقصان العقل أمر جبلي مقدم في الوجود، ونقصان الدين أمر حادث، أو

---

١ ـ فتح الباري لابن رجب (٢/ ٣٩)

٢ ـ لفروق اللغوية للعسكري (ص: ٨٤)

٣ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٩٣)

لأن الغالب إنما ينشأ نقصان الدين من نقصان العقل، ثم هذا السؤال من حذاقة أولئك الحاضرات"[1]

(فذلك) : إشارة إلى أن الحكم السابق والكاف لخطاب العام، ويحتمل الكسر؛ ولذا لم يقل: " ذلكن " مع كون الخطاب للنساء. وقال العسقلاني: بكسر الكاف خطاب للواحدة التي تولت الخطاب، ويجوز فتحها على أنه خطاب للعام.[2]

(تكثرن اللعن) قال القاري[3]: لعل وجه التقييد بالإكثار أن اللعن يجري على ألسنتهن، لاعتيادهن من غير قصد لمعناه السابق، فخفف الشارع عنهن ولم يتوعدهن بذلك إلا عند إكثاره، قال: وقد يستعمل في الشتم والكلام القبيح، يعني عادتكن إكثار اللعن والشتم والإيذاء باللسان، انتهى.[4]

ولم يقل عليه الصلاة والسلام (الزوج) ولكن قال (وَتَكفُرْنَ العَشيرَ) لتحديد ما يكفر به النساء، أي ما يتغطى عن أنفسهن أحياناً حسابه ومقارنته برد فعلهن، عند الغضب أو الخوف أو الاحباط والقلق مثلا، فيغيب عنهن ما يبذله العشير من حمل (هم ثقيل) لحمايتهن والدفاع عنهن واستعداده الدائم

---

١ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٩٣)

٢ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٩٤)

٣ ـ علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرر من القرآت والتفسير فيبعيه فيكفيه قوته من العام إلى العام. وصنف كتبا كثيرة، منها " تفسير القرآن ـ خ " ثلاثة مجلدات، و " الأثمار الجنية في أسماء الحنفية " و " الفصول المهمة ـ خ " فقه، و " بداية السالك ـ خ " مناسك، و " شرح مشكاة المصابيح ـ ط " و " شرح مشكلات الموطأ ـ خ " و " شرح الشفاء ـ ط " و " شرح الحصن الحصين ـ خ " في الحديث، و " شرح الشمائل ـ ط " و " تعليق على بعض آداب المريدين، لعبد القاهر السهرودي ـ خ " في خزانة الرباط (٢٥٠٣ ك) و " سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ ط " رسالة، وغيرها الكثير من المؤلفات ينظر الأعلام للزركلي (٥/ ١٢)

٤ ـ مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٨١)

لبذل دمه ونفسه في سبيل أن لا يؤذي أحداً من الناس (أياً من محارمه) ، من رأسهن (الأُم) حتى (الجارية المملوكة) ، ويغيب عنهن ما يبذل مـــن الجهـــد لتلبية حاجتهن وكفالتهن الكفالة التامة..

الحديث السادس

عنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهُ. قَالَ كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعَ الغَرْقَدِ[1] فَأَتَانَا النبيُّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلاَّ قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُول الله أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وندَعُ العَمَلَ فَمَنْ كانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا منْ كانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ الشَّقَاوَةِ قَالَ أَمَّا أَهلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ فأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى وصدق بالحسنى} [الليل: ٦] الآية[2]

شاهد أسلوب الحكيم

---

١ - البقيع: الْمَكَان المتسع من الأرْض. وَقَالَ قوم: لَا يكون بقيعا إِلَّا وَفِيه شجر.: والغرقد: من شجر الْعضَاة، والعضاة شجر لَهُ شوك مثل الطلح والسدر. ينظر لسان العرب لابن منظور مادة"بقع" ومادة "غرقد" ومادة"عضا"

٢ - صحيح البخاري (٢/ ٩٦)

الجواب من الإسلوب الحكيم منعهم صلى الله عليه وسلم عن الاتكال وترك العمل، وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية، وإياكم والتصرف في الأمور الإلهية فلا تجعلوا العبادة وتركها سببا مستقلا لدخول الجنة والنار، بل إنها علامات فقط، وقال الخطابي: لما أخبر صلى الله عليه وسلم عن سبق الكتاب بالسعادة رام القوم أن يتخذوه حجة في ترك العمل، فأعلمهم أن هنا أمرين لا يبطل أحدهما الآخر: باطن هو العلة الموجبة في حكم الربوبية، وظاهر هو التتمة اللازمة في حق العبودية، وإنما هو أمارة مخيلة في مطالقة علم العواقب غير مفيدة حقيقة، وبين لهم أن كلا ميسر لما خلق له، وأن عمله في العاجل دليل مصيره في الآجل، ولذلك مثل بقوله تعالى: {فأما من أعطى واتقى} (الليل: ٥) . الآية، ونظيره الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب، والأجل المضروب مع التعالج بالطب، فإنك تجد الباطن منهما على موجبه، والظاهر سببا مخيلا، وقد اصطلحوا على أن الظاهر منهما لا يترك للباطن.[1]

ودلالات التراكيب في الحديث تتضافر مع أسلوب الحكيم لنقل المعاني التي يريد بثها الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في المتلقي.

فقوله: (فنكس) ، بتخفيف الكاف وتشديدها، لغتان، أي: خفض رأسه وطأطأ به إلى الأرض على هيئة المهموم المفكر، ويحتمل أيضا أن يراد بنكس: نكس المخصرة.(٢)

ومعنى "النكت بالمخصرة" كلمة موحية مصورة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه كان مشغولا بأمور أمته، لأن هذه

---

١ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨/ ١٨٩)
٢ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨/ ١٨٨)

الصورة من نكس للرأس، إنما هي عمل المهموم ففيها إشـــارة إلى المعـــانى، وتفصيل الكلام وإحضار القلب للفصول .

قال العيني : "فإن قلت: ما معنى "النكت بالمخصرة"؟ قلـــت: هـــو إشارة إلى إحضار القلب للمعاني. وفيه: نكس الرأس عند الخشوع والتفكر في أمر الآخرة. وفيه: إظهار الخضوع والخشوع عند الجنـــازة، وكـــانوا إذا حضروا جنازة يلقى أحدهم حبيبه، ولا يقبل عليه إلا بالسلام حتى يرى أنه واجد عليه، وكانوا لا يضحكون هناك، ورأى بعضهم رجلا يضحك فآلى أن لا يكلمه أبدا، وكان يبقى أثر ذلك عندهم ثلاثة أيام لشدة مـــا يحصـــل في قلوبهم من الخوف والفزع[1]

وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم التعبير "ما مـــنكم مـــن أحد" ليدل على أن الأمر يشمل جميع مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب القصر بغـــرض تمكين الكلام وتقريره في الذهن، واستخدم من طرق القصر طريق "النفـــي والاستثناء" في قوله:مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ مَا مِنِ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّار لأن الأصل في (النفي والاستثناء) أن يجـــيء لأمـــر ينكـــره المخاطب – أو يشك فيه – أو لما هو منزل هذه المنزلة[2]

"ما من نفس" ويحتمل أن يكون من باب اللف والنشر[3]، وأن يكون تعميما بعد تخصيص، إذ الثاني في كل منها أعم من الأول.

---

١ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨/ ١٨٩)

٢ ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: ١٧٠)

٣ ـ اللف والنشر:هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل، ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين، اتكالا على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: ٣٣٠)

قوله: (إلا كتب مكانها) ، على صيغة المجهول.

(أفلا نتكل) والفاء حرف عطف يفيد التعقيب وهو هنا معقب لشيء محذوف تقديره، فإذا كان كذلك أفلا نتكل، والاتكال أمر منهي عنه في الإسلام فهو "من الاتكال في الأمور وأن يتكل كل واحد منهما على الآخر. يقال: رجل وكلة إذا كثر منه الاتكال على غيره، فنهي عنه لما فيه من التنافر والتقاطع، وأن يكل صاحبه إلى نفسه ولا يعينه فيما ينوبه[1]

أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم وَأَمَّا أهلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، فإنه يحتمل أن يكون المراد منه سنهيئه للشر بأن تجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله فيستوجب به النار، وعلى هذا يكون استعمال التيسير في معناه الحقيقي، وجعل الكلام جاريا على خلاف مقتضى الظاهر بطريق القلب(٢)،ولا بد من مقتضى للقلب، فيصار إلى أن المقتضي إفادة المبالغة.

ومن الممكن أن تعد من قبيل الاستعارة التهكمية[3] ذكر ذلك ابن بطال حيث يقول: "فإن قيل: التيسير إنما يكون للحسنى فكيف جاء للعسرى؟ . فالجواب: أنه مثل قوله تعالى: (فبشرهم بعذاب أليم) [آل عمران: ٢١] أى أن ذلك يقوم لهم مقام البشارة.[4]

---

١ ـ لسان العرب (١١/ ٧٣٥)

٢ ـ القلب هو: أن يقصد شيئاً ويكون المقتضي بضد ذلك الشيء. البديع في نقد الشعر (ص: ١٧٦)

٣ ـ وهما ما نزل فيهما التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء، أو لأجل الملاحة والظرافة ينظر علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: ٢٦٦)

٤ ـ شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ٤٤٠)

وحاصل السؤال: ألا نترك مشقة العمل، فإنا سنصير إلا ما قدر علينا؟
وحاصل الجواب: لا مشقة لأن كلا ميسر لما خلق له وهو يسير على من يسره الله.[1]

الحديث السابع

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه قال وفوقه عرش الرحمانومنه تفجر أنهار الجنة»[2]

شاهد الأسلوب الحكيم:وأما الجواب فهو من الأسلوب الحكيم أي: بشرهم بدخول الجنة بالإيمان، ولم يكتف بذلك، بل زد عليها بشارة أخرى، وهو الفوز بدرجات الشهداء، وبل بشرهم أيضا بالفردوس.

أما دلالات التراكيب في الآية:

فقوله صلى الله عليه وسلم(أو جلس فى أرضه) ويلاحظ هنا إدراك الرسول صلى الله عليه وسلم، للنفس البشرية، ومراعاته لأهل الإيمان، لأن هناك

---

١ - عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها (ص: ٢٣٤)
٢ - صحيح البخاري (٤/ ١٦)

منهم من يريد الجهاد، ولكنه تمنعه الإعاقة، أو المرض، أو الهرم عن القتال في سبيل، فتنشغل أنفسهم بأنهم يحرمون من هذا الثواب، ولكنه يرسل لهم الإشارات الواضحة لتأنس نفوسهم، وأنهم إذا ما زالوا على إيمانهم، ملتزمين بالفرائض، فإنهم في درجة المجاهدين في سبيل الله.

فلما قيل لرسول الله: (أفلا نبشر الناس) أخبر (صلى الله عليه وسلم) بدرجات المجاهدين فى سبيله، وفضيلتهم فى الجنة ليرغب أمته فى مجاهدة المشركين وإعلاء كلمة الإسلام.[1]

ومن العلماء من ذكر أنه لا يوجد في الحديث "أسلوب الحكيم" وأن ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما هو تعليل لترك البشارة، وقد ذكر ذلك الإمام العيني في كتابه حيث يقول: "وأما الجواب ... إلى آخره، من كلام الطيبي، واعترض عليه بعضهم بقوله: لو لم يرد الحديث إلا كما وقع هنا لكان ما قال متجها، لكن وردت في الحديث زيادة دلت على أن قوله: في الجنة مائة درجة، تعليل لترك البشارة المذكورة، فعند الترمذي من رواية معاذ المذكورة، قلت: يا رسول الله ألا أخبر الناس، قال: (ذر الناس يعملون فإن في الجنة مائة درجة) ، فظهر أن المراد: لا تبشر الناس بما ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه، فيقفوا عند ذلك، ولا يتجاوزه إلى ما هو أفضل منه من الدرجات التي تحصل بالجهاد، وهذه هي النكتة في قوله: (أعدها للمجاهدين) . انتهى. قلت: كلام الطيبي متجه، والاعتراض عليه غير وارد أصلا، لأن قوله: لكن وردت في الحديث زيادة ... إلى آخره، غير مسلم لأن الزيادة المذكورة في حديث معاذ بن جبل

---

١ ـ شرح صحيح البخارى لابن بطال (٥/ ١٣)

وكلام الطيبي وغيره في حديث أبي هريرة، وكل واحد من الحديثين مستقل بذاته، والراوي مختلف فكيف يكون ما في حديث معاذ تعليلا لما في حديث أبي هريرة، على أن حديث معاذ هذا لا يعادل حديث أبي هريرة ولا يدانيه، فإن عطاء بن يسار لم يدرك معاذا، قال الترمذي: عطاء لم يدرك معاذ بن جبل، معاذ قديم الموت، مات في خلافة عمر، رضي الله تعالى عنه[1].

"كما بين السماء والأرض" استخدم أداة التشبيه الكاف من بين أدوات التشبيه، لأنها تفيد التشبيه على وجه المقاربة[2]

فالرسول صلى الله عليه وسلم_والله أعلم_ أراد أن يبين المقاربة في البعد بين الدرجات، لتحبيب المسلمين في هذا الأمر، ولم يكن يريد أن يبين البعد الحقيقي بين هذه الدرجات.

الحديث الثامن

حدثنا زياد هو ابن علاقة[3]، أنه سمع المغيرة[1]، يقول: قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر

---

١ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٤/ ٩٠)

٢ ـ نلمح ذلك في كلام الإمام عبد القاهر حين يعقد مقارنة بين "الكاف" و "كأن" من حيث الدلالة لكل منهما على المعنى فنراه يقول: لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى، حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها. فإن قلت: فإذا أفادت هذه ما لا تفيد تلك، فليستا عبارتين عن معنى واحد، بل هما عبارتان عن معنيين اثنين. قيل لك: إن قولنا "المعنى" في مثل هذا، يراد به الغرض، والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه، نحو إن تقصد تشبيه الرجل بالأسد فتقول "زيد كالأسد"، ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول: "كأن زيدا الأسد"، فتفيد تشبيهه أيضا بالأسد، إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول، وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه، وأنه لا يروعه شيء، بحيث لا يتميز عن الأسد، ولا يقصر عنه، حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي.ينظر دلائل الإعجاز تحقيق شاكر (١/ ٢٥٨)

٣ -زياد بْن علاقة الثعلبي (٢) الكوفي، سَمِعَ أسامة بْن شريك وجريرا والمغيرة بْن شُعْبَة وعمه قطبة، روى عنه الثوري وشعبة، قالَ ابْن مَعين: كنيته أبُو مالك، وقال

الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا»[٣]

والأسلوب الحكيم نراه في قوله: "أفلا أكون عبدا شكورا"

فأسلوب الحكيم ، نلمحه في تعجب المغيرة ، ومن معه من قيام الرسول ﴿ﷺ﴾ حتى تتورم قدماه، فيتحدثون معه تحدث المشفق عليه لإثنائه عما يقوم به، وأن يرفق بنفسه، لأن الله مستنكرا عليهم))) غفر له ما تقدم، فرد عليهم الرسول هذا الإشفاق ومبينا السبب الحقيقي وراء هذا، وهو أن يكون عبدا شكورا.

فالشكر مقابلة المنعم على فعله بثناء عليه، وقبول" لنعمه واعتراف بها، فيكون شكوراً على هذا بمعنى مشكوراً، وقيل الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على سبيل الخضوع، وقيل إن حقيقة الشكر الاعتراف بالتقصير في الشكر للمنعم"(٦)

وقد جعل الطاهر ابن عاشور هذا الشكر المذكور في الحديث لأن من" : قو لهمن المرتبة الثالثة في الشكر، وعلل لها ب

مَحْمُود حدثنا أَبُو النضر قَالَ حدثنا أَبُو مُعَاوِيَة عَنْ زياد عَنْ قطبة بْن مالك الثعلبي. التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٣٦٤)

١ ـ الْمُغِيرَة بن شُعْبَة بن أبي عَامر مَسْعُود الثَّقَفِيّ ولد ٢٠ق. هـ، أحد دهاة الْعَرَب وَقادَتهمْ وولاتهم صَحَابِيّ يُقَال لَهُ "مُغِيرَة الرَّأي"، ولد فِي الطَّائِف أسلم ٥هـ، ولاه عمر بن الْخطاب الْبَصْرَة ثمَّ الْكُوفَة وأقزه عُثْمَان ثمَّ عَزله ثمَّ ولاه مُعَاوِيَة الْكُوفَة، فَلم يزل فِيهَا إِلَى أن مَاتَ عَام ٥٠هـ. تأويل مختلف الحديث (ص: ٣٧٩)

٢ ـ صحيح البخاري (٦/ ١٣٥)

٣ ـ صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (١/ ٣٩٢)

الظاهر أن الشكر هنا على نعمة قد حصلت، فليس فيه حظ للنفس بالطمع في المزيد، لأن الغفران العام قد حصل له، فصار الشكر لأجل المشكور لا غير ،وتمحض أنه لا لخوف، ولا طمع [1]

من الكلمات التي توحي بدلالات متعددة " عبد" وكلمة بوديه العبد للعبد كان فيها من لأنها إذا كانت فيها ع المذلة والمهانة ما فيها،أما عبودية الرب فإن فيها من العزة ما فيها.

وحين ننظر إلى الإسناد في قوله صلى الله عليه وسلم أنه " عبدا" فإننا نلمح فيه معنى كونه ، "عبدا شكورا" معترف لله بالعبودية غير متكبر بالإشراك، وكونه فقد كان .دا لشكر الله بامتثال أوامره شكورا، أي شدي يكثر حمد الله [2].

أي "أفلا أكون عبدا شكورا" وقوله ":ولذلك نجدهم يقولون مثنيا على الله تعالى بنعمته علي ومتلقيا لها بالازدياد من طاعته، والشكر الثناء على صنيعة يؤتاها المرء، والحمد الثناء، وإن لم تكن عارية، ولا موجب الشكر الثناء باللسان :كافأة على ذلك، قال الأخفش لمم

---

١ - التحرير والتنوير (١/ ١٨١)
٢ - التحرير والتنوير (١٥/ ٢٧)

الشـــكر معرفـــة الإحســـان :للعاريـــة يؤتاهـــا، وقـــال غـــيره (٦) والتحـــدث بـــه

،للمبالغـــــة في الشـــــكر "شّـــكورا" ثم تمـــم المعـــنى بـــأن قـــال للمبالغـــة في الشـــكر، فهـــي "شاكر" معدولا عن "شكورا" فإن ر ربهصـــيغة مـــن أبنيـــة المبالغـــة، وهـــو الـــذي يجتهـــد في شـــك .بطاعته، وأدائه مـــا وظـــف عليـــه مـــن عبادتـــه

وكان حقه أن يستخدم هنا "شاكرا" بدلا من "شكورا"، ولكنه آثر التعـــبير "باسم المفعول"، للدلالة على أن هذه القدرة على الشـــكر ليســـت بفعـــل الإنسان ، ولكنها مقدرة من الله سبحانه وتعالى، يعين العبد على شكره، فالله تعالى "أثنى على العبد الشكور حتى قال عن نوح: {إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَـــكُوراً} [الإسراء/ ٣] ، فأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يصل إلى هذه الغايـــة، وأن يعبد الله تعالى حق عبادته، ولهذا كان أتقى الناس، وأخشى النـــاس لله، وأشدهم رغبة فيما عند الله تعالى، فهو عبد لله، ومقتضى عبوديته أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً[٢]

أما عن دلالات التراكيب في الحديث النبوي فيُلاحظ فيها:

قول الراوي "حتى تورمت قدماه" فإن فيه"أخذ الإنسان على نفسه بالشدة فى العبادة، وإن أضر ذلك ببدنه، وذلك له حلال، وله أن يأخذ بالرخصـــة ويكلف نفسه ما عفت له به وسمحت، إلا أن الأخذ بالشدة أفضل، ألا ترى قوله (صلى الله عليه وسلم) : (أفلا أكون عبدًا شكورًا) ، فكيف من لم يعلم أنه استحق النار أم لا؟ فمن وفق للأخذ بالشدة فله في النبي، (صلى الله عليه

---

١ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٥١)

٢ ـ شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ١٢١)

وسلم) ، أفضل الأسوة. وإنما ألزم الأنبياء والصالحون أنفسهم شدة الخوف، وإن كانوا قد أمِنوا، لعلمهم بعظيم نعم الله عليهم، وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها، فبذلوا مجهودهم في شكره تعالى بأكبر مما افترض عليهم، فاستقلوا ذلك. ولهذا المعنى قال طلق بن حبيب[1]: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، ونعمه أكثر من أن تحصى ولكن أصبحوا قانتين وأمسوا تائبين.[2]

أما "الهمزة" فهي أصل أدوات الاستفهام. ولأصالتها استأثرت بأمور، منها "تمام التصدير بتقديمها على "الفاء" و"الواو" و"ثم"، في نحو " أفلا تعقلون "، " أو لم يسيروا "، " أثم إذا ما وقع ". وكان الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنها من الجملة المعطوفة. لكن راعوا أصالة الهمزة، في استحقاق التصدير، فقدموها بخلاف هل وسائر أدوات الاستفهام. هذا مذهب الجمهور.

وذهب الزمخشري[3] إلى تقدير جملة، بعد الهمزة، لائقة بالمحل، ليكون كل واحد من الهمزة وحرف العطف في موضعه. والتقدير: أتجهلون فلا تعقلون؟

---

١ ـ طلق بن حبيب العنزي بصري، زاهد كبير، من العلماء العاملين. حدث عن: ابن عباس، وابن الزبير، وجندب بن سفيان، وجابر بن عبد الله، والأحنف بن قيس، وأنس بن مالك، وعدة. روى عنه: منصور، والأعمش، وسليمان التيمي، وعوف الأعرابي، ومصعب بن شيبة، وجماعة. وكان طيب الصوت بالقرآن، برا بوالديه. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٦٠١)

٢ ـ ـ شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ١٢٢)

٣ ـ يشير بذلك إلى ما قاله الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى} [الأعراف: ٩٧]يقول : والفاء والواو في أَفَأَمِنَ وأَ وَأَمِنَ حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار. فإن قلت: ما المعطوف عليه؟ ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وقوله وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى إلى يَكْسِبُونَ وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه. وإنما عطف بالفاء، لأنّ المعنى: فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى؟ وقرئ: أو أمن، على العطف بأو وَهُمْ يَلْعَبُونَ يشتغلون بما لا يجدى

ونحو ذلك. وضعف بعدم اطراده، إذ لا يمكن في نحو " أفمن هو قائم على كل نفس "، وبأن فيه حذف جملة معطوف عليها، من غير دليل.[1]

وقال الطيبي[2] الفاء مسبب عن محذوف أي أأترك قيامي وتهجدي لما غفر لي، فلا أكون عبدا شكورا، يعني أن غفران الله إياي سبب لأن أقوم وأتهجد شكرا له، فكيف أتركه.

يقول ابن بطال: في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه لأنه صلى الله عليه وسلم إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له، فكيف بمن لم يعلم بذلك؟ فضلا عمن لم يأمن من أنه استحق النار؟

قال الحافظ: "ومحل ذلك إذا لم يفض إلى الملال، لأن حال النبي – صلى الله عليه وسلم – كانت أكمل الأحوال، فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنه، بل صح أنه قال: وجعلت قرة عيني في الصلاة، كما أخرجه النسائي من حديث أنس، فأما غيره – صلى الله عليه وسلم – فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه وعليه، يحمل قوله – صلى الله عليه وسلم – : خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا.[3]

أما إذا قدر أن همزة الاستفهام دخلت على مقدر، ثم عطف عليه، فيكون الاستفهام بدلالة النظم والمقام للإنكار، وتأكيد على حرص رسول الله صلى

عليهم كأنهم يلعبون. تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١٣٤/٢)

١ ـ الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٣١)

٢ ـ الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان.من أهل توريز، من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الردّ على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر. ينظر الأعلام للزركلي صـ

٣ ـ مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ٢١٤)

الله عليه وسلم على شكره لله سبحانه وتعالى على نعمه التي أضفاها عليه،وعلى رأسها تأديبه له، على الرغم من معرفته صلى الله عليه وسلم أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

الحديث التاسع

عن أنس أن رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! متى الساعة قائمة؟ قال: ويلك وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا إني أحب الله ورسوله. قال: إنك مع من أحببت، فقلنا: ونحن كذالك؟ قال: نعم ففرحنا يومئذ فرحا شديدا، فمر غلام للمغيرة، وكان من أقراني فقال: إن أخر فقال: إن أخر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة.[1]

سلك مع السائل أسلوب الحكيم وهو تلقى السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم.

قال شيخ شيخي الطيبي: سلك مع السائل طريق "الأسلوب الحكيم"، لأنه سأل عن وقت الساعة. وأجاب بقوله: ما أعددت لها؟ يعني: إنما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند قيامها من الأعمال الصالحة، فقال هو: ما أعددت لها؟ قوله: (إنك مع من أحببت) أي: ملحق بهم وداخل في زمرتهم[2]

و(متي):اسم استفهام ، مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بفعل محذوف.

---

١ ـ صحيح البخاري (٨/ ٣٩)

٢ ـ عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها (ص: ٩٩)

(وما أعددت لها) انظر! إلى هذا التصحيح الجميل، والأسلوب الرائع، كأنه قال له: يعني إذا عرفت أن الساعة غداً، أو بعده، أو السنة القادمة، ما الذي يفيدك؟ أي: لا يفيدك إلا ما أعددته للساعة. فصحح له السؤال.[1]

أما قول الأعرابي:"ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله" وهذا من القصر الحقيقي الادعائي، لأنه "منظور فيه إلى الادعاء والافتراض يجعل ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم وسمي هذا القصر حقيقيًّا، لأن القصر فيه بالنسبة إلى جمع ما عداه ولو فرضًا.[2]

فإنه لابد وأنه مسلما، وأنه أعد للجنة الكثير من الأعمال بدءا من الشهادة وإقام الصلاة ، وغير ذلك، ولكنه قصر إعداده للجنة على حب الله ورسوله، وذلك لأن هذه الفرائض كلها تتضاءل أمام قوة هذا الحب.

(إنك مع من أحببت) أي ملحق بهم حتى تكون من زمرتهم، وبهذا يندفع إيراد أن منازلهم متفاوتة فكيف تصح المعية؟ فيقال: إن المعية تحصل بمجرد الاجتماع في شيء ما، ولا تلزم في جميع الأشياء، فإذا اتفق أن الجميع دخلوا الجنة صدقت المعية، وإن تفاوتت الدرجات[3]

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: "حتى تقوم الساعة" المبالغة في تقريب قيام الساعة، لا التحديد، كما قال في الحديث الآخر (بعثت أنا والساعة كهاتين)، ولم يرد أنها تقوم عند بلوغ المذكور الهرم.

---

١ ـ شرح صحيح البخاري للحويني (٣/ ١٥)
٢ ـ المنهاج الواضح للبلاغة (٢/ ٧٠)
٣ ـ فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٥٥)

قال: وهذا عمل شائع للعرب يستعمل للمبالغة عند تفخيم الأمر، وعند تحقيره، وعند تقريب الشيء، وعند تبعيده، فيكون حاصل المعنى: أن الساعة تقوم قريبا جدا، وبهذا الاحتمال الثاني جزم بعض شراح المصابيح، واستبعده بعض شراح المشارق، وقال الداودي: المحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك للذين خاطبهم بقوله "تأتيكم ساعتكم" يعني بذلك موتهم، لأنهم كانوا أعرابا فخشي أن يقول لهم لا أدري متى الساعة فيرتابوا فكلمهم بالمعاريض[1]

الحديث العاشر

حدثني قيس، قال: قال لي المغيرة بن شعبة ما سأل أحد النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر ما سألته، وإنه قال لي: «ما يضرك منه»، قلت: لأنهم يقولون: إن معه جبل خبز، ونهر ماء، قال: «هو أهون على الله من ذلك»[2]

شاهد الأسلوب الحكيم: في الحديث شاهدان :الأول: قول النبي(ﷺ): « مَا يضرك منْهُ؟ »

والثاني قوله(ﷺ):« هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ ».

بيان شاهد الأسلوب الحكيم:

فالمغيرة بن شعبة يذكر أنه كان أكثر الناس سؤالا عن الدجال، لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيجيبه النبي(ﷺ) عن الدجال بما هو فيه فائدة له، ولكل من يشغل باله السؤال عن هذا الأمر، فليس المهم للمغيرة ماهية الدجال، أي شيء يتعبه ويكده من شأن السؤال عن الدجال،واستخدم الرسول صلى الله

---

١ - فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٥٦)

٢ - صحيح البخاري (٩/ ٥٩)

عليه وسلم في ذلك طريق الأسلوب الحكيم، ،فلم يجبه عن السؤال، وإنما سأله الحبيب محمد عن ما يضره منه. ثم يعقب بتأكيد السلامة منه ، ونفي الضرر عنه ، وأنه في مأمن منه.

ثم ذكر المغيرة سبب تخوفه من الدجال، وذلك في إدعاء من يدعي "إن معه جبل خبز، ونهر ماء"، فرد عليه النبي(ﷺ)، بنفي هذا الادعاء وأنّ تحكمه هذا ليس بشيء ، وأنه لا يملك القدرة على المنع والعطاء، وإذا كان كذلك، فإن القدرة المطلقة على النفع والضر ، والمنع والعطاء لله وحده.

والناظر في سؤال المغيرة يجد صورة معبرة عن حال المؤمن الخائف على دينه من أن يفتن فيه، فيكثر من السؤال عن الدجال ، فالمقام مقام استفهام للعلم بحقيقة أمرٍ من الأمور الغيبية التي أخبر عنها النبي(ﷺ) وأنذر بها، والتي خفيت على المنذَرين.

وأجاب النبي (ﷺ) المغيرة مستوقفًا له ومنبها إياه ومحولا له من كونه سائلا إلى مسئول عن طريق الأسلوب الحكيم في قول النبي(ﷺ):« مَا يُضرِكَ مِنْهُ؟ » .

وقول المغيرة: (لأنهم يقولون: إن معه جبل خبز، ونهر ماء،) استدلال بإخبار الذين يزعمون بأن الدجال مالكٌ للضرر والنفع ، والسياق أبرز بمساق الإخبار شدة امتلاء قلب المغيرة خوفًا من أمر الدجال لاستعظام الواهمين أمره، وفي رواية أخرى:(إِنَّ معه الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ).[1]

وجملة :(إن معه جبل خبز، ونهر ماء) تقتضي بأن الدجال يملك النفع والضرر، وأنه يعطي ويمنع على حسب ادعائهم .

---

(١)صحيح مسلم ج٤/ص٢٢٥٧.

وجاء جواب النبي ﴿ﷺ﴾ لنفي ما يوجبون للدجال من قوة توهم أنه يضر وينفع ، وذلك عند قوله ﴿ﷺ﴾:« هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ » على طريق القول بالموجب[1] لنفي اعتقادهم ودحض زعمهم، وتأكيد الإخبار باسمية الجملة لتقوية الحكم بهوانه وضعفه عند الله سبحانه. يقول الشراح :(وقال عياض معناه: هو أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلا للمؤمنين، ومشككا لقلوب الموقنين ، بل ليزداد الذين آمنوا ايمانا ويرتاب الذين في قلوبهم مرض، فهو مثل قول الذي يقتله : ما كنت أشد بصيرة مني فيك لا أن قوله :هو أهون على الله من ذلك، أنه ليس شيء من ذلك معه ، بل المراد أهون من أن يجعل شيئا من ذلك آية على صدقه ، ولا سيّما وقد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره ، يقرأها من قرأ ومن لا يقرأ زائدة على شواهد كذبه من حدثه ونقصه)[2].

وفي إثبات هوانه على الله وضعفه تأكيد لمساق الجملة السابقة من عدم إلحاق الضرر بعباد الله الصالحين وأنه لا سلطان له عليهم ، وهذا لا ينافي الأحاديث الواردة في الاستعاذة من فتنة الدجال[3]،ولكن لبيان شدة فتنه وخطورتها على الناس، فقد ورد عن (حُذَيْفَةَ قال: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ رسول اللَّه﴿ﷺ﴾ فقال : لأَنَا لِفِتْنَةِ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عندي من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلاَّ نَجَا منها ، وما صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلاَ كبير إِلاَّ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ).[4]

وأيضًا جاءت الجملة لتأكيد كذبه وادّعائه مع ما يحمل من شواهد ينخدع بها الناس ويقع فيها السّذج الذي يغفلون عن دلائل قدرة الله في الدجال

---

١ ـ القول بالموجب هو: رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ٥٩٩)

(٢)فتح الباري ج١٣/ص٩٣. لم أجد زيادة (بل) في صحيح البخاري.

(٣)روي في صحيح البخاري عن (عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت سمعت رَسُولَ اللَّهِ﴿ﷺ﴾ يَسْتَعِيذُ في صَلَاتِهِ من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ).صحيح البخاري ج١/ص٢٨٦،.

(٤)مسند أحمد بن حنبل ج٥/ص٣٨٩.

نفسه، وأكبر شاهدٍ على كذبه وهو أعور العين الذي لم يمنع عن نفسه الـــنقص والعيب ، والذي مكتوب بين عينيه (كافر) ولم يصرف ما كتب بين عينيه فصار يمشي بها بين الناس علامة لم يستطع إزالتها لتكون دليلا كاشفا على صدق مـــا أخبر به النبي﴿ﷺ﴾ لمن يراه فيثبت ولا ينخدع به حينئذٍ.

واجتماع شاهد الأسلوب الحكيم مع القول بالموجب لصرف الســـؤال عنه والالتفات إلى الأولى ، ولدفع الخوف من الدجال ، لكونه أهون على الله على مال لديه من شُبَهٍ كالدلائل ، غير أنها فتن وابتلاءات من القادر سبحانه الضـــارّ النافع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين اللهم اجعل أحسن أعمالنا خواتيمها، والصلاة والسلم على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، والذي قال عنه رب العزة سبحانه وتعالى واصفا رحمته بأمته فقال {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة: ١٢٨] وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين

أما بعد

فهذه خاتمة بحثي عن "الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي في صحيح البخاري" وكان أهم ما توصلت إليه من نتائج خلال هذا البحث:

١- إن "أسلوب الحكيم" ذكره الكثير من العلماء قديما، ولكن تحت مسميات مختلفة، فنجد الجاحظ أطلق عليه مصطلح "من اللغز في الجواب" وأطلق عليه الإمام عبد القاهر الجرجاني مصطلح "المغالطة"

٢- إن ما قصده الجاحظ من باب "اللغز في الجواب" يشمل ما هو أكثر من "الأسلوب الحكيم" كما ذكر ذلك الدكتور فوزي السيد عبد ربه في كتابه "المقاييس البلاغية عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين"

٣- إن الإمام عبد القاهر ذكر مصطلح "المغالطة" عرضا، فلم يجعل له بابا مستقلا، وإنما ذكره أثناء عرضه لنكتة تقديم "مثل وغير" مسندا إليهما.

٤- إن السكاكي هو أول من أطلق مصطلح "الأسلوب الحكيم" وقسمه إلى قسمين.

٥- لم ير بعض العلماء كابن حجة الحموي فرقا بين "الأسلوب الحكيم" وبين "القول بالموجب"

٦- استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم "الأسلوب الحكيم" في كلامه، كأسلوب لتوضيح ما هو أهم للأمة الإسلامية.

٧- كما نلمس من خلال هذا البحث دقة الرسول صلى الله عليه وسلم في استخدامه "الأسلوب الحكيم" إلى جانب عذوبة الألفاظ، كما يتضافر هذا الأسلوب مع غيره من الصور البلاغية لتوضيح الصورة التي يريد الحديث النبوي نقلها إلى المتلقي.

وبعد

فإنني أدعو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، وإن كانت الأخرى فحسبي ثواب الاجتهاد في العمل. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- الأعلام للزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م
- أنوار الربيع في أنواع البديع صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (المتوفى: ١١١٩هـ)
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
- البيان والتبيين عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ
- التاريخ الكبير للبخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد

شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي
- تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- تفسير:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م
- الجنى الداني في حروف المعاني المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) المحقق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت
- خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) المحقق: عصام شقيو الناشر: دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار– بيروت الطبعة: ١ ٢٠٠٤م
- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني المؤلف: محمد محمد أبو موسى الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: السابعة
- دلائل الإعجاز في علم المعاني المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: ياسين الأيوبي الناشر: المكتبة العصرية– الدار النموذجية الطبعة: الأولى
- سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الحديث– القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م
- شرح صحيح البخارى لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

- شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية
- صحيح البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال المؤلف: القاضي/حسين بن محمد المهدي – عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة٢٠٠٩م راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي
- عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ

- علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- فتح الباري لابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب
- فتح الباري لابن رجب المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود. وآخرين
- الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر
- القرآن ونقض مطاعن الرهبان المؤلف: د صلاح عبد الفتاح الخالدي دار النشر: دار القلم – دمشق الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ
- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان،الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، ت:زهير الشاويش، ،المكتب الإسلامي – لبنان،ط٢، ١٣٩١هـ– ١٩٧١م.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ) الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م
- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب

الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث
- سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني المؤلف: علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء المديني، البصري، أبو الحسن (المتوفى: ٢٣٤هـ) المحقق: موفق عبد الله عبد القادر الناشر: مكتبة المعارف – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٤
- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني إعداد د/إنعام فوّال عكاوي مراجعة/ أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٣ه ١٩٩٢م
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥
- مفتاح العلوم يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

- المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين تأليف د/فوزي السيد عبد ربه عيد دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٣
- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري المؤلف: حمزة محمد قاسم راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م
- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) تحقيق : من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي – جدة ، بإشراف الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد الناشر : دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع وقف ، مُؤَسَّسَةِ سليمان بن عَبْدِ العزيْز الرَّاجِحي الخيرية
- المنهاج الواضح للبلاغة المؤلف: حامد عون الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.